

## **Bushra Khalil on Christians**

مع تحفظ د. أشقر ناشر هذا المقال على هذه الصفحة لناحية إغفال المحامية خليل لبعض المعطيات التي تتنافى وفكرها السياسي، وللبعض الأمور الأخرى، إنما مع كونه من الشاكرين لها على هذا المقال:

كتبت المحامية بشرى خليل

\*المارونية السياسية يلّي استلمت الحكم من الاستقلال لسنة ١٩٧٥ صنعت بلد بنظام سياسي واقتصاد مزدهر.

\* الفساد والمحاصصة كانت موجودة ولكن حافظوا على الحد الأدنى من الدولة.

\* فائض بالميزانيات لسنين طويلة مكنا من شراء احتياطي ذهب مهم.

\* صنعوا مؤسسات بالدولة وخارجها مثل طيران الشرق الأوسط، كازينو، المرفأ، المصارف، ناتج قومي أفضل من دول كتير وخاصة بالخليج.

\* المارونية السياسية سلمت دولة ما عليها ولا اي دين يذكر.

شو عملوا الشباب الطيبة من ٩٢ لليوم؟

يلّي بدهم يتحاكموا ويحاسبوا هني يلّي استلموا البلد بعد الحرب ومش من الاستقلال وللحديث تنمة.. بالنسبة لحاكم مصرف لبنان يلّي كانت تعينهم المارونية السياسية قبل الحرب.. (مش بيت الحريري يلّي جابولنا رياض سلامة..): بداية مع فيليب تقلا مرو را ب ميشال خوري، الياس سركيس وادمون نعيم.. هؤلاء ما أخذوا جوائز افضل حاكم بالعالم او بالشرق الأوسط يلّي كان يشتريهم رياض سلامة.. بس جماعة أوادم حطو رأسهم وانتقلوا لعند ربهم ضميرهم مرتاح.. إلا إذا بدكن نقارن رياض سلامة ب الياس سركيس الأدمي أو ادمون نعيم المتقف أو ميشال الخوري البيك ابن البيك يلّي ما كان عينو بشي أو فيليب تقلا.. بدكم نفتح الصفحة؟؟ لا مجال للمقارنة..

إيام المارونية السياسية هبي يلّي جابت الخير للبلد وراحت وراح البلد معها...

انتهت "المارونية السياسية"... وانتهى لبنان...

يرفض الموارنة الحاليون الاعتراف بأنهم ورثة غير ناجحين لأسلافهم الموارنة الناجحين الذين أسسوا لبنان الحديث.

ويرفض المسلمون الاعتراف بأنهم خلفاء غير ناجحين ل "المارونية السياسية" التي انتهت في العام ١٩٧٥.

لم ينجب الموارنة فطاحل ولا رؤيويين بعد الحرب الأهلية، كابروا وعاندوا وكابدوا الأوهام ومن دون أن ينتجوا فعلا سويا ومرضيا، كما فعل أوائل الموارنة الذين بنوا الدولة الأكثر حداثة في الشرق الأوسط.

ولم يفعل "الخلفاء المسلمون" أكثر من النذب على مظلومية سابقة، فظنوا أن "الطائفية السياسية" التي ابتدعها الموارنة، يستعاض عنها بـ " طائفيات سياسية " متعددة، تعيد لهم حقا مسلوبا وشراسة مغبونة، فاستقرت الحال على ما هي عليه الأحوال، طائفيات ترث الطائفية، ومتشرذمات ومتفرقات ترث المحاولات الضمنية لبناء دولة ووطن ومواطنين.

منذ عقود لم نقرأ نصا لمفكر سياسي ماروني؟

هل هذا المفكر موجود؟ أم أصيب المواردنة بالنضوب؟

ومنذ انتهت "المارونية السياسية" (بعد الطائف على الأقل) لم ينجب المسلمون مفكرا بديلا؟

هل يفكر المسلمون بالبدايل؟

هل المسلمون لديهم البديل بالأصل؟

حتى الآن لا يجيب المواردنة (والمسيحيون عموماً) على هذا الأسئلة.

وأغلب الظن أن المسلمين يفتقدون الإجابة.

أنتجت مرحلة "المارونية السياسية" مفكرين وسياسيين غير عاديين، مواردنة وغير مواردنة، قد يختلف البعض معهم أو يتفق مثل ميشال زكور وميشال شيحا وشارل مالك، وفؤاد إفرام البستاني، ويوسف السودا وكمال يوسف الحاج وغيرهم.

وأنتج المسيحيون اللبنانيون فكرتين ديناميتين غير مسبوقتين: العروبة مقابل العثمانية، ثم الوطنية اللبنانية مقابل العروبة.

وحين آلت العروبة إلى المسلمين العرب دمروها (انظروا إلى أحوال العرب وبلاد العرب)، وحين آلت الوطنية أو الكيانية اللبنانية إلى المسلمين بعثوها.

نبقى في لبنان...

لنعترف أنه لا يوجد مفكر مسلم مثل ميشال شيحا يهمس في أذني الرئيس بشارة الخوري بضرورة الذهاب إلى " اجتماعي" مع رياض الصلح، اسمه "الميثاق الوطني".

ولنعترف أنه لا يوجد بين المسلمين مفكر بوزن شارل مالك (بصرف النظر عن بعض أفكاره)، استطاع أن يُلهم الرئيس كميل شمعون، بفلسفته ورؤيته، وإلى حدود تعيينه وزيرا للخارجية.

ليس من مهمة السياسيين إنتاج الأفكار...

تلك مهمة المفكرين الذين يبتكرون التصورات ويصوغون الأفكار ويقدمونها بقوالب مقنعة ومقبولة لأهل السياسة وأصحاب القرار.

هكذا كان أرسطو مع الإسكندر،

وهكذا كان كونفوشيوس مع ملوك الصين،

وهكذا كان بوذا مع ملك ماغادا،

وهكذا كان الإمام الغزالي مع نظام الملك، وابن سينا مع فخر الدولة، والكندي مع المأمون والمعتصم، والفارابي مع سيف الدولة الحمداني، والسُّهْرَوْرْدِي مع صلاح الدين الأيوبي، وابن خلدون مع ملوك وأمراء زمانه.

وهكذا في كل عصر ومصر، وصولاً إلى العصر الذهبي لـ " المارونية السياسية "، حيث شهد لبنان:

قضاء معتبر - أمن مقبول - فن راق - صحافة طليعية - قطاع مصرفي راند - حركة نقابية فاعلة - عملة محلية توازي العملات الصعبة - فائض مالي مقداره ١٣ مليار ليرة لبنانية - بيئة نظيفة - قطاعا التعليم والطبابة يتصدران القطاعات المماثلة في المنطقة.

كانت " المارونية السياسية "، مع عيوبها ونواقصها، تدرك ما تريد، وتعرف إلام تطمح، كانت تريد لبنان وطنا ودولة لتحافظ على استمرارها وتجديد نفسها من خلال إنجازات ملموسة ونجاحات على الأرض، ولذلك كان:

- الضمان الصحي والاجتماعي

- مجلس الخدمة المدنية

- وزارة التخطيط

- بحيرة القرعون

- مشروع نهر الليطاني

- مؤسسة كهرباء لبنان

- استجرار المياه إلى مختلف القرى والأرياف اللبنانية

- تعميم المدارس الرسمية على كل لبنان

- الجامعة اللبنانية كحاضنة للتعليم العالي للفقراء والطبقة المتوسطة، وبمستوى كاد يوازي الجامعتين اليسوعية والأميركي.

أيضاً، كانت " المارونية السياسية " واضحة المعالم في خطابها وخطواتها، وكانت تقول:

- نظامنا السياسي ديمقراطي برلماني

- نظامنا الاقتصادي رأسمالي حر

- منفتحون على الشرق والغرب

في السياسة الخارجية، كان ثمة رؤية واضحة للعمل الدبلوماسي اللبناني، وفي ذلك كتب فؤاد عمون وزير الخارجية الأسبق، معالم السياسة الخارجية اللبنانية، فقال:

"إن مبادئ السياسة الخارجية اللبنانية تقوم على: الأخوة والتعاون مع الدول العربية - لا امتياز ولا مركز ممتاز لأي دولة - لا حماية أجنبية - تنسيق السياسة الخارجية اللبنانية مع سياسة الدول العربية والتعاون معها عسكرياً، وعلى الصعيد الدولي لا أحلاف ولا امتيازات ولا مراكز ممتازة لأي دولة كبرى"، (راجع كتابه: سياسة لبنان الخارجية - دار النشر العربية - بيروت - ١٩٥٩).

وبرأي فؤاد عمون، أن الرئيس كميل شمعون خرق الميثاق الوطني في تحالفه مع الغرب، والرئيس فؤاد شهاب أحيا الميثاق الوطني.

أيضًا يمكن أن نقرأ لوزير الخارجية الأسبق جورج حكيم، محاضرة عن سياسة لبنان الخارجية في العام ١٩٦٥، يقول فيها: "إن سياسة لبنان الخارجية تتأثر بالعوامل الاقتصادية، فهي تعكس بصورة عامة أفكار ومصالح الطبقة الوسطى، ومن مصلحة لبنان التوفيق بين الدول العربية لأن الوفاق العربي ضروري لتأمين الوفاق بين الطوائف اللبنانية". كان ذلك في الماضي.

كانت "المارونية السياسية" تعرف أي لبنان تريد.

سعت - كما تفعل الرأسماليات - إلى تجديد نفسها بأفعال وإنجازات ملموسة وملحوظة وغير مسبقة في الشرق الأوسط كله.

وربما تطرقت لبنانيا إلى حد الغلو، فأشعل غلوها عود النقاب الأولى في غابة الطوائف اللبنانية.

وأما في الحاضر،

فأي لبنان يريده المسلمون؟

أي لبنان يريده السنة؟

أي لبنان يريده الشيعة؟

وفي الطريق نحو الإجابة الضائعة، تنبت أسئلة شائكة تبحث بدورها عن كيفية:

إنعاش العمل النقابي

وإنقاذ التعليم الرسمي

وإحياء الأنهار اللبنانية وفي مقدمتها نهر الليطاني

وإعادة الاعتبار للصحافة والإعلام

والحفاظ على الضمان الاجتماعي

واستعادة حقوق المواطنين بقروض الإسكان

ومنع انهيار الاقتصاد الوطني

هذه الأسئلة، كانت لها إجابات أو نصف إجابات في مرحلة "المارونية السياسية"، أي أنها كانت تجري فعلا على الأرض أو نصف فعل أو في الطريق إلى جريان الفعل، وأما الآن فالأسئلة غير موجودة والإجابات مفقودة، فلا نجد نصا رؤيويًا، ولا مشروعًا واعدًا، ولا مفكرًا يقترح فكرة، ولا مفكرًا يتخيل صورة، ولا كاتبًا يلهم سطرًا.

ما السبب؟ لا إجابة

الإجابة المقنعة والمفحمة:

أن "المارونية السياسية" انتهت ولم يرثها الموارنة الجدد،

وأن "المارونية السياسية" انتهت ولم يرث المسلمون إلا مساوئها،

يعيبون نواقصها وهذا حق لهم،

يغيبون نجاحاتها وهذا إثم عليهم،

يغفلون عن إنجازاتها وهذه من كبائر خطاياهم وأخطائهم: ليس بالتأثيم تحيا الأوطان، وليس بتخليد الخطايا تُبنى الأوطان.

أي لبنان بعد "المارونية السياسية"؟ الإجابة مجهولة.

أي لبنان بعد خمس سنوات؟ الإجابة مجهولة.

أي لبنان بعد عشر سنوات أو عشرين سنة؟ الإجابة مجهولة.

عشتم ... وعاش لبنان.

شكر إلى الباحث توفيق شومان.